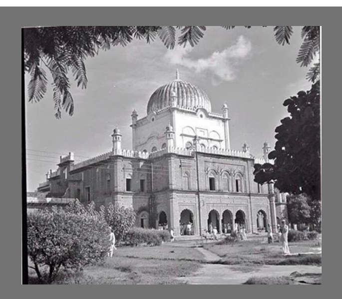
نبذة من حياة



فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني البنارسي – دامت بركاتهم العالية -

إعداد : الأستاذ الكاتب الإسلامي نور عالم خليل الأميني – حفظه الله -

(من مجلة الداعي)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني البنارسي

– متعنا الله بطول بقائه –

الرئيس الحالي بالجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند / الهند

إعداد : الأستاذ الكاتب الإسلامي نور عالم خليل الأميني

– حفظه الله و ألبسه الصحة و العافية –

........نثبت فيما يلي موجزًا من ترجمة حياة فضيلة الشيخ النعماني البنارسي – حفظه الله – في ضوء ما أفادنا به فضيلته :

هو (فضيلة الشيخ) أبوالقاسم بن محمد حنيف بن المقرئ نظام الدين ، وُلِدَ يوم ١٤/ يناير ١٨٤٧م الموافق ٢٢/ صفر ١٣٦٦هـ بحيّ «مدنبوره» **Madanpura** أحد أحياء مدينة «بنارس» **Banaras** وسُمِّيَت المدينة فيما بعد بـ«وارانسي» **Varanasi** ، والحيُّ أغلبيّةُ سكانه مسلمون ؛ فهو ذوثقافة إسلاميّة ، وهو ثالث أبناء أبويه ؛ حيث وُلِدَ لهما قبله شقيقان له ، مات أولهما رضيعًا ، وثانيهما : أبوالهاشم لايزال حيًّا يُرْزَق ، وللشيخ النعماني شقيقان آخران وشقيقتان أخريان ، وكلّهم أحياء يمارسون نشاطهم في الحياة . أما والداه فقد سبق أن تُوُفِّيا – رحمهما الله تعالى – .

وكانت العادة في بيته في الأغلب الاكتفاء بالدراسة الابتدائية ، وكان – حفظه الله – هو الأول الذي تجاوزها إلى ما فوقها وأكمل المشوار التعليميّ بتوفيق الله – عز وجل – ، وقد أنهى الدراسة البدائية في بيته على والدته وعلى جدّه من الأب الشيخ المقرئ نظام الدين ، وكانت الدراسة مشتملة على القاعدة البغدادية لتعليم حروف الهجاء الأبجدية العربية مفردة ومركبة والقرآن الكريم بالنظر ومبادئ الأردية والحساب وما إلى ذلك . وكان الجد الشيخ نظام الدين مقرئًا بارعًا ، وخطّاطاً مُتْقِنًا ، عاش صحبةَ العلماء الصالحين ، حريصًا على الدراسة والمطالعة ، وكان يهتمّ بالتربية الدينية وكان يأخذ بها أبناءَ الأسرة كلهم ، فكان له سلطة دينية عليهم جميعًا .

بعد المرحلة المذكورة من الدراسة التحق بمدرسة قديمة في حيّه قامت عام ١٩٠٠م/١٣١٨هـ اسمها «جامعة إسلامية مدنبوره» وبدأ فيها دراسته من الصف الثاني للمرحلة الابتدائية النظاميّة . بعدما اجتاز الصف الرابع من المرحلة الابتدائية بعلامات ممتازة تطلع أبناء أسرته والمسؤولون في المدرسة أنه يَتَأَهَّل أن يستمرّ في الدراسة في المرحلة التالية وهي مرحلة الدراسة العربيّة ، فأُلْحِق بالصفوف الفارسيّة التي لابدّ من اجتيازها في الديار الهنديّة لبدء الدراسة العربيّة ، ثم دخل الصف الأوّل من الدراسة العربيّة . وبعد ذلك انتقل إلى مدينة «مئونات بهانجان» Mau Nath Bhanjan إحدى المدن الشهيرة بالجزء الشرقي من ولاية «أترابراديش» والتحق بمدرستها الشهيرة بـ«دارالعلوم مئو» وانتظم في الصف الثاني من الدراسة العربيّة ؛ ولكنه عندما علم أنه فاتته دراسة بعض الكتب المدرجة في مقررات الصفّ الأول من الدراسة العربيّة حسب المنهج الدراسيّ في هذه المدرسة ، هبط برضى من نفسه إلى الصف الأول من الدراسة العربيّة مما أعانه بشكل ملموس على إتقان أهليّته ؛ حيث أعاد دراسة كتب النحو والصرف والتمرن على قواعدهما ، الأمر الذي جعله يفوز في امتحانات جميع المراحل

الدراسيّة بالدرجة الأولى ، بل فاز في الامتحان النهائي للصف الأخير من الدراسة العربية الشرعية ، المعروف بـ«دورة الحديث الشريف» بالمركز الأول وبعلامات ممتازة ؛ لأن التمكن من قواعد العربية ومبادئها هي الركيزة الأساسيّة للتعمق في جميع الفنون التي يدرسها الطالب من الصف الأول إلى الصف الأخير من مراحل التعليم الديني الشرعي العربيّ لدينا في شبه القارة الهنديّة .

وبعدما اجتاز الصف الثاني العربي حدث هناك ثورة في هذه المدرسة لخلافات بين المسؤولين فيها ، فغادرها إلى مدرسة أخرى بالمدينة اسمها «مفتاح العلوم مئو» والتحق بها عام ١٣٨١هـ وانتظم في الصف الثالث من الدراسة العربيّة . وبما أنّه كان قد قَرَّرَ أنه سيرتحل منها بعد اجتياز الصف الثالث إلى «الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند» فأتم خلال مكثه بها دراسةَ بعض الكتب الأخرى التي كانت مدرجة في مقررات الصف الرابع الذي كان يودّ الالتحاق بها – دارالعلوم / ديوبند – فيه ، حتى لاتضيع سنة من سنواتها الدراسيّة .

على كلّ ففي شوال ١٣٨٢هـ التحق بالجامعة – دارالعلوم / ديوبند – في صف «كنز الدقائق» – كتاب شهير في الفقه الحنفي – وقد كان من سعادته أن عامه الدراسي الأول بالجامعة كان العام المائة للجامعة ؛ حيث أسست يوم ١٥/ محرم ١٢٨٣هـ ففي ١٥/ محرم ١٣٨٣هـ كان قد مضى على تأسيسها مائة عام. وكان العام الدراسي الأول الذي أمضاه فضيلة الشيخ النعماني هو عام ١٣٨٢–١٣٨٣هـ ، لأن العام الدراسيّ في الجامعة وفي جميع مدارس وجامعات شبه القارة الهندية الأهلية الإسلامية يبتدئ من شوال وينتهي في شعبان .

في شعبان ١٣٨٧هـ اجتاز الشيخ الامتحان النهائي لنيل درجة الفضيلة في الشريعة الإسلاميّة ، وهو امتحان الصف الأخير من الدراسة العربيّة الذي يُعْرَفَ في شبه القارة الهندية بـ«دورة الحديث الشريف» وفاز في الامتحان بالدرجة الأولى وبالمركز الأول ؛ حيث نال ٤٨٥ علامة من مجموع ٥٠٠ علامة ، علماً

بأن السقف النهائي للعلامة في كل كتاب أو مادة كان أيامئذ خمسين (٥٠) ولم تكن مائة (١٠٠) كما هو المُتَّبع بشأن العلامات في جميع الجامعات والمدارس الرسميّة في الهند وفي العالم كله . والجدير بالذكر أن الجامعة أيضًا قَرَّرَتْ ونَفَّذَتْ ماهو المُتَّبَعُ في العالم ، فَحَوَّل الخمسين إلى المائة بدءًا من الامتحان النصف السنوي للعام الدراسي ١٤٣١–١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١٠–٢٠١١م .

وقد أمضى حفظه الله العام الدراسي التالي منذ شوال ١٣٨٧هـ حتى شوال ١٣٨٨هـ المشتمل على ١٢ شهرًا كاملاً في الجامعة ملتحقًا بقسم الإفتاء والتدريب على استخراج المسائل والإجابات الفقهيّة عن الاستفتاءات الواردة من أرجاء العالم إلى الجامعة . وأثبت في هذا القسم هو الآخر ، باجتهاده في الدراسة ، وإطاعة أساتذته ، ومواظبته على القيام بالمسؤوليات الدراسيّة إلى جانب حفاظه على العبادات والفرائض الشرعيّة أنه طالب مثالي ، وأن مجال خدمة الدين والدعوة ينتظره بفارغ الصبر. وقد صَدَّق عملُه ونشاطُه فيما بعد أن تكهنات الأساتذة والزملاء بشأن مستقبله الزاهر كانت صائبةً مائة في المائة .

والجدير بالذكر أن العهد الذي تعلّم فيه الشيخ النعماني في الجامعة كان خيرَ العهود الأخيرة بالنسبة إلى عهدنا هذا الذي تفتقد فيه مُعْظَمَ ما كانت تتمتع به من الخيرات والبركات ومُقَوِّمَات السعادة الغامرة ؛ فقد كان يرأسها آنذاك العالم الهندي الفريد المقرئ محمد طيب (المتوفى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) حفيد مؤسسها الإمام حجّة الإسلام في هذه القارة الشيخ محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله – (المتوفى ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) .

وكان الشيخ محمد طيب قد جَمَعَ الله فيه المزايا الكثيرة التي لايجمعها إلاّ في عالم عامل يريد به خيرًا ، ويريد أن يظهر على يديه الخير الكبير ويقيضه لأداء مهمة جليله . المزايا التي ظل يتوارثها أخلاف مشايخ الجامعه من أسلافهم ، من التعمق في الكتاب والسنة ، إلى الصلاح المضروب به المثل ، إلى مؤهلات

الخطابة والكتابة الفذة ، إلى مواهب تبليغ الدعوة والرسالة ، إلى لسان ذرب بليغ في الخطاب والموعظة وشرح رموز الدين وطرح قضايا الكتاب والسنة ، إلى مكارم الأخلاق التي يسع بها المسلمُ جميعَ الناس ، إلى الحلم والكرم الذي يفتح به أقفال القلوب .

وكان رئيس المجلس التعليمي أيامئذ العالم الفطن الذكي المحدث المتفقه الشيخ العلامة محمد إبراهيم البلياوي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) المضروب به المثل في قوة الذاكرة والذكاء غير العاديّ ، الذي كان يحلّ به مسائل علمية عويصة بإشارته البارعة ونكته الدقيقة ، وكان يتكلم في الفصول الدراسية دائمًا بكلمات قليلة المباني كثيرة المعاني ، وكان مهوى أفئدة الأذكياء العباقرة من تلاميذه وتلاميذ الجامعة كلهم . وكان يتبَاهى كلُّ من يتعلم أو يستفيد منه بأنه تعلّم على العلامة البلياوي .

وكان يرأس شياخةَ الحديث أيامئذ في الجامعة المحدث العبقري الأخير في الجامعة الشيخ فخر الدين المراد آبادي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) الذي كان حقًّا حلقة أخيرة في السلسلة الذهبية لمشيخة الحديث في الجامعة التي ابتدأت بمؤسسها الإمام محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله – ثم زميله ومعاصره ومُسَاكِنه في بلدته وابن أستاذه أعني الشيخ محمد يعقوب النانوتوي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) وتلميذ الإمام النانوتوي الشيخ محمود حسن المعروف في الديار الهندية بـ«شيخ الهند» – رحمه الله – (المتوفى ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) وتلميذ الشيخ محمود المحدث الكبير الجليل العلامة محمد أنور شاه الكشميري – رحمه الله – (المتوفى ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) الذي كان حقًّا كمكتبة متنقلة ، وتلميذه الآخر الشيخ العالم الصالح المجاهد بمعنى الكلمة السيد حسين أحمد المدني المعروف بـ«شيخ الإسلام» – رحمه الله – (المتوفى ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) .

وكلّ من أعقبه – الشيخ فخر الدين أحمد المراد آبادي – لم يُدَانِه في العلم والفضل والدراية الحديثية والمكانة الكبيرة المرموقة التي كان يحتلها في الشرح والتقريب لمواد الحديث إلى تلاميذه .

وقد سَعِدَ الشيخ النعماني التلمذ على هذه الشيخ الكبير وعليه قرأ صحيح البخاري بجزئيه كما قرأ صحيح مسلم والترمذي على الشيخ العلامة محمد إبراهيم البلياوي – رحمه الله – ، وجامع الترمذي أيضًا . وكان من أساتذته الآخرين في الجامعة في الحديث وغيره من الفقه والتفسير وعلوم الشريعة والعربية:

الشيخ فخرالحسن المراد آبادي – رحمه الله – (المتوفى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)

والشيخ شريف الحسن الديوبندي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)

والشيخ معراج الحق الديوبندي – رحمه الله – (المتوفى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)

والشيخ إسلام الحق الأعظمي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)

والشيخ عبد الأحد الديوبندي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)

والشيخ محمد حسين المعروف بـ«مُلاًّ البيهاريّ» – رحمه الله – (المتوفى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)

والشيخ السيد أختر حسين الديوبندي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)

والشيخ نصير أحمد خان البلند شهري – رحمه الله – (المتوفى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)

والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي – رحمه الله – (المتوفى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)

والشيخ السيد أنظر شاه الكشميري – رحمه الله – (المتوفى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)

والشيخ سعيد أحمد الكنكوهي – رحمه الله – (المتوفى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) حفيد الشيخ الكبير الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) زميل الإمام محمد قاسم النانوتوي – رحمه الله – (المتوفى ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) في الدراسة .

والشيخ خورشيد عالم الديوبندي – رحمه الله – (المتوفي ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)

والشيخ بهاء الحسن المراد آبادي – رحمه الله – (المتوفى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)

والشيخ محمد هارون الديوبندي – رحمه الله – (المتوفى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)

والشيخ المقرئ حفظ الرحمن – رحمه الله – (المتوفى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) رئيس قسم التجويد والقراءات بالجامعة أيامئذ

والشيخ امتياز أحمد نسيمي – رحمه الله – الذي تعلّم عليه تحسينَ الخطوط العربية والأرديّة .

العهدُ الذي تَعَلَّمَ فيه الشيخ النعماني في الجامعة ، كان أزهر العهود في حياة الجامعة بالنسبة إلى اللغة العربيّة التي تبنّى تعليمَها ونشرَها وتحبيبَها إلى جميع طلاب الجامعات الأهلية في شبه القارة الهندية على اختلاف مراحل

تعليمهم أحد أبناء الجامعة التي وهب له الله عزّ وجل عبقريّة خاصّة وأسلوبًا ساحرًا فريدًا لتعليمها ونشرها وإحيائها على جميع الأصعدة الكتابيّة والخطابيّة وهو فضيلة الشيخ وحيدالزمان القاسمي الكيرانوي رحمه الله ؛ فعاد محيطُ الجامعة كلها يُدَوِّي بهتافها ، ويزدان بأنشطة مُكَثَّفة مبذولة لدراستها وتدريسها كلغة حيّة تُلَبِّي جميع الحاجات المتجددة ومقتضيات كل عصر ومصر متزايدة .

فلم يكن غريبًا أن يُعَدَّ غريبًا كلُّ طالب لاينضمّ إلى ركبها ، ولم يكن للطالب المثالي مثل الشيخ النعماني أن يستغني عن هذه الأنشطة المباركة ، فدخل الصفَ الأوّلَ من الصفوف الثلاثة التي كان قد نَظَّمَها الشيخ الكيرانوي لتعليمها على طريقته التي ابتكرها هو ، بعد التحاقه بالجامعة بسنتين ، وفي العام التالي دخل الصف الثاني ، وفي الذي تلاه دخل الصفَّ الثالث النهائي الأخير الذي كانت تنضج فيه أهليّة الطلاب بالنسبة للغة العربيّة نطقًا وكتابة . وفي اللغة العربية أيضًا كان الشيخ النعماني من الطلابين المُبَرِّزين ، فقُلِّدَ عام «دورة الحديث الشريف» – الذي يكون أكثر الأعوام الدراسيّة ازدحامًا بالمشاغل الدراسيّة – منصب «معتمد النادي الأدبي» الذي كان بدوره يتطلّب التفرّغ للقيام بمسؤوليّاته المُتَشَعِّبَة اللامحدودة التي كان يباشر الإشرافَ عليها ورعايتها بنفسه فضيلة الشيخ الكيرانوي الذي كان مضرب المثل في المحافظة على الأوقات ، والتقيد بمواعيد العمل وأخذه طلابَه بالتقيد بها ، وكان مُتَّقِد الذهن ، مُتَيَقِّظ الفكر ، مُرْهَفَ الحسّ ، مُتَأَنِّقًا في كل ما يحب ويكره ويأتي ويذر ؛ فكان العمل تحت إشرافه والقيام بالمسؤوليات الباهظة المترامية تحت رعايته عملاً شاقًّا للغاية لم يكن ليقوم به إلاّ مثل الطالب الموهوب أبي القاسم النعماني البنارسي الذي حاز ثناء أستاذه العبقري الذي كان يُحَبِّذه ويشيد بمواهبه عبر الحفلات الطلابيّة الحاشدة ، ويُقَدِّمه دليلاً على أن من يُتْقِن العربيّة يَتَخَرَّج أقدرَ على استيعاب العلوم والفنون وجميع المواد الدراسيّة التي يجري تدريسُها في المدارس

والجامعات الأهليّة الإسلاميّة في شبه القارة الهنديّة ؛ فقد فاز الشيخ النعماني في جميع الامتحانات التي أدّاها بالدرجة الأولى وفاز في امتحان «دورة الحديث» – وهي الصف النهائي الأخير لنيل شهادة الفضيلة في الشريعة الإسلامية – بالدرجة الأولى وبالمركز الأوّل .

وقد أسلفنا أنه اتّصل للتخرج في فن الإحسان والتزكية بالشيخ الكبير المحدث زكريا بن يحيى الكاندهلوي . وذلك عندما كان طالبًا بالجامعة في صف «مشكاة المصابيح» – كتاب معروف في الحديث الشريف – ولكنّه أكثر من صحبة الشيخ المفتي الأكبر بالجامعة الشيخ محمود حسن الكنكوهي رحمه الله وتخرج عليه في هذا الفن ، لأن الجلوس إليه والاستفادة منه كانا مُيَسَّرين له جدًّا؛ لأنه كان أستاذه في الفقه والإفتاء والتدريب على استنباط المسائل الفقهية والردّ على الاستفتاءات .

وبعد ما تخرج من «الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند» حاملاً شهادة الفضيلة في الشريعة الإسلامية وشهادة المفتي ، عُيِّنَ أستاذًا بمدرسة معروفة بمدينته «بنارس» اسمها «جامعة إسلامية بنارس» . وذلك عام ١٩٦٩م/ ١٣٨٩هـ . واستمر يقوم بالتدريس فيه حتى عُيِّن رئيسًا لـ«جامعة دارالعلوم/ ديوبند» فترك التدريس في تلك المدرسة مُرْغَمًا ؛ لأنها تبعد عن مدينة «ديوبند» بمسافات شاسعة . وقد تشرف بالحج والزيارة لأول مرة عام ١٩٩١م/١٤١١هـ – ثم سعد بأداء الحج والعمرة مرات عديدة – وفي العام نفسه انتخب عضوًا في مجلس شورى الجامعة وإلى ذلك ظلّ يساهم في الأنشطة الدينية والاجتماعيّة في وطنه «بنارس» وأسس جمعيّة باسم «إصلاح المسلمين» جمع تحت لوائه الشباب الإسلامي الحريص على خدمة الدين والمجتمع ، ورغّبهم في القيام بالأعمال الإنسانية والخيريّة . كما ظلّ يساهم ويقوم بأنشطة اجتماعيّة عامّة

تنصبّ في خدمة الأمة المسلمة وخدمة الوطن من على منبر جمعيّة علماء الهند التي ظلّ مسؤولاً كبيرًا في فروعها المحليّة والإقليمية ، وفي مقرّها بدهلي .

وقد وُلِّي مسؤولية رئاسة «دارالعلوم ديوبند» وهي مسؤولية باهظة بجميع معاني الكلمة ، وقد جاوز ٦٦ من عمره ، ويعاني من عوارض الشيخوخة الطبيعيّة التي تقتضي الراحة والاستجمام . أعانّه الله ، و وَفَّقَه ، وسَدَّدَ خطاه ، وكان نصره حليفَه في كل عمل يرضيه ويُطَوِّر «دارالعلوم» على الأصعدة كافّةً ، حتى يُتَاح له أن يحقق جميع الآمال التي يُعَلِّقها عليه المسلمون في شبه القارة الهندية والعالم كلّه ، بصفته رئيسَ هذه الجامعة العريقة التي هي مهوى أفئدة المسلمين في هذه القارة . وهو تعالى نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين .

(مجلة الداعي)

لا تنسونا في دعائكم

قام بنشرها :

إمداد الله أمير الدين المؤمن – عفي عنه وعن والديه –

مكة المكرمة